

مجموعة من شعب إيبارشية جرجا
 باستراحة القديس سمعان الخراز
 طريق مصر الإسكندرية الصحراوية
 السبت ٢٦ أغسطس ٢٠١٧ م

النَّعْمَة والموهبة

أودُّ في جلستنا هذه، أن أجيب عن سؤال ورد إليّ من أحد القارئین،
 يقول: هل هناك فرق بين النَّعْمَة والموهبة؟

وهنا تذكرتُ قول القُدَّاس المرقسي في أصوله القديمة، والذي كان
 يُصلی به في الكنيسة حتى إلى منتصف القرن الرَّابِع عشر الميلادي على
 الأقل. وفيه يرد فيه النَّص اللَّيتورجي التَّالي في بداية القُدَّاس:

يقول الكاهن: نعمة ربِّنا يسوع المسيح.

يقول الشعب: آمين.

يقول الكاهن: ومحبَّة الله الآب.

يقول الشعب: آمين.

يقول الكاهن: وشركة الرُّوح القُدَّس.

يقول الشعب: آمين.

يقول الكاهن: فلتكن مع جميعكم.

يقول الشعب: ومع روحك أيضاً.

يقول البابا أنثاسيوس الرِّسولي (٣٢٨-٣٧٣ م):

[هذا هو ما علِّم به الرِّسول ... حينما كَتَبَ إلى
 الكورنثيين في الرِّسالة الثانية قائلاً: «نعمة ربِّنا يسوع

المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢ كورنثوس ١٣ : ١٣). لأن النعمة والهبة تُعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا فانه لا يكون لنا شركة في العطيّة إلاّ في الروح القدس. لأننا حينما نشترك فيه، تكون لنا محبة الآب ونعمة الابن وشركة الروح نفسه. **ويتضح مما سبق أن فعل الثالوث هو واحد.** فالرّسول لا يعني أن ما يُعطى، يعطى من كل واحد متنوعاً ومجزئاً، ولكن ما يعطى إنما يعطى في الثالوث، والكُل من إله واحد^(١).

ويقول أيضاً:

[حينما يقول الرّسول: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرّب يسوع المسيح» (رومية ١: ٧)، فإنه بهذا صارت البركة مضمونة بسبب عدم انفصال الآب عن الابن. ولأجل ذلك، **فالنعمة التي تعطى منهما هي واحدة وهي نفسها.** وإن كان يُقال كان الآب يُعطى النعمة، إلاّ أنّها توهب بالابن. وإن كان يُقال إنّ الابن يهب النعمة، فالآب هو الذي يعطيها بالابن وفي الابن. لأن الرّسول يقول وهو يكتب إلى أهل كورنثوس «أشكر الهى في كلّ حين من جهتكم على نعمة الله (الآب) المعطاة لكم في يسوع المسيح» (١ كورنثوس ٤: ٤)]^(٢).

ويقول أيضاً:

[...توجد نعمة واحدة وهي نفس النعمة التي من الآب

١- رسائل القديس أناسيوس عن الروح القدس، ٣٠:١

٢- ضد الأريوسيين ١٣:٣

في الابن ... حينما يدعو الرسول لأهل تسالونيكى، فهو يقول لهم «والله نفسه أبونا (أي الآب) وربنا يسوع المسيح، يُهدى طريقنا إليكم» (١ تسالونيكى ٣: ١١) **فهو بهذا يحفظ وحدة الآب والابن معاً.** فهو لم يقل يُهديان، كما لو كانت هناك نعمة مزدوجة تعطى من مصدرين، هذا وذاك، بل قال «يُهدى» لكى يبيّن أن الآب يعطيها بواسطة الابن^(٣) ... لأن ما يُعطى إنما يعطى بواسطة الابن. وليس شيء يعمله الآب إلا بالابن. لأنه هكذا تكون النعمة مضمونة لمن ينالها^(٤) [٥].

وبعد أن شرحتُ النَّصَّ الليتورجى السَّابق، بحسب تعليم البابا أناسيوس الرسولى، نواصل حديثنا.

فالنَّصُّ السَّابق ذكره في بداية القُدَّاس الإلهي بحسب القُدَّيس مرقس، هو النَّصُّ الذي اختُصر الآن في القُدَّاس المرقسي (وهو ما نجده أيضاً في القُدَّاس الغريغوري)، وفيه يقول الكاهن: ”محبَّة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، وشركة وموهبة الرُّوح القُدَّس، تكون مع جميعكم.“
فيقول الشَّعب: ومع روحك.

وعلينا أن نلاحظ هنا؛ أن نعمة الابن، ومحبَّة الآب، وشركة الرُّوح القُدَّس، هي عطية القُدَّاس الإلهي للمشاركين فيه، أي هي العطية التي يمنحها الكاهن (سواء كان قساً أو أسقفاً أو بطريكاً) للشَّعب، والتي

3- PG 26, 344.38-345.15

4- PG 26, 345.28-30

يمنحها الشَّعْب للكهان، وذلك بتوسُّط ذبيحة الإفخارستيا الكائنة على المذبح المقدَّس. هذا هو معنى القُدَّاس الإلهي، والذي هو في حقيقته مشاركة شعبية. وأمَّا ما نراه اليوم فلستُ أعرف ماذا نسمة؟

ويلزم أن نعرف أيضاً أن تعبير ”موهبة الرُّوح القُدَّس“، لا يعني ”مواهب الرُّوح القُدَّس“، بل يعني الرُّوح القُدَّس نفسه الذي يُعطى لنا كموهبة أو كعطية من الله. وهذا هو معنى ”شركة الرُّوح القُدَّس“.

كما أننا نقرأ في نص القُدَّاس المرقسي في صلاة الحجاب بحسب النص القديم: ”أرسل علينا نعمة رُوحك كَلِّي القداسة، وقُدَّس نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ...“.

واضحٌ هنا أنَّ موهبة الرُّوح القُدَّس، التي نطلبها في القُدَّاس الإلهي، هي نفسها نعمة الرُّوح القُدَّس أيضاً. أي الرُّوح القُدَّس نفسه، كونه موهبة أو نعمة معطاة لنا لتقدسينا، لأننا في القُدَّاس الإلهي ننال سكنى الرُّوح القُدَّس نفسه في حياتنا. هذا هو ما يؤكده نص ليتورجي في نهاية القُدَّاس المرقسي (الكيرلسي)، يقول الكاهن فيه، بصلاة سرية: ”أرسل علينا من علوك المقدَّس ... البارقليط نفسه، روح الحق، الكائن بالأفنوم ... ينبوع النعم الإلهية، المساوي لك، المنبثق منك، والجليس على العرش معك في ملكوتك مع ابنك الوحيد ... الخ“.

ولكن علينا الآن أن نبحث في موضوع الفرق بين النعمة والموهبة، في الكتاب المقدَّس.

فكلمة ”نعمة“ وهي في اليونانية χάρις (خاريس)، قد وردت بأربعة معانٍ في كتاب العهد الجديد، هي:

- ”نعمة“ مثل: «وجدتِ نعمة عند الله» (لوقا ١: ٣٠).
- «أقول بالنعمة المعطاة لي» (رومية ١٢: ٣).
- «النعمة التي نحن فيها مُقيّمون» (رومية ٥: ٢).
- «نعمة ربنا يسوع ... معكم» (رومية ١٦: ٢٠).
- «تكفيك نعمتي» (٢ كورنثوس ٩: ١٢).
- «بالنعمة أنتم مُخلّصون» (أفسس ٥: ٢).
- «لأنكم بالنعمة مُخلّصون بالإيمان» (أفسس ٨: ٢).
- ”فضل“ مثل: «لأنّ هذا فضل، إن كان أحد ...
يحتمل أحزاناً» (١ بطرس ٢: ١٩).
- ”إحسان“ مثل: «ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم» (١ كورنثوس ٣: ١٦).

- ”شُكر“ مثل: «فإن كنتُ أنا أتناول بشُكر» (١ كورنثوس ١٠: ٣٠).
- «شُكراً لله الذي يعطينا الغلبة» (١ كورنثوس ١٥: ٥٧).
- «فشُكراً لله على عطيتِهِ» (٢ كورنثوس ٩: ١٥).
- «أنا أشكر المسيح الذي قوّاني» (١ تيموثاوس ١: ١٢).
- «ليكن عندنا شُكر، به نخدم الله» (عبرانيين ١٢: ٢٨).

- أمّا ”الموهبة“ أو ”الهبة“ وهي في اليونانية χάρισμα (خاريسما).
فتجد معناها في الآيات التّالية، على سبيل المثال:
- «أمّا هبة الله فهي حياة أبدية» (رومية ٦: ٢٣).
- «كلُّ واحد منّا له موهبته الخاصة» (١ كورنثوس ٧: ٧).
- «جدّوا للمواهب الحُسن» (١ كورنثوس ١٢: ٣١).

ومن ثمّ، أعتقدُ أنّ مفهوم النّعمة في الكتاب المقدّس، ربما يكون له

معنى شولي أوسع جداً من الموهبة. لأن الموهب على كثرتها وتنوعها^(٦) تعطى لنا بحسب النعمة.

فنقرأ ما يلي على سبيل المثال:

«لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة» (رومية ١٢: ٦).
 «لكل واحدٍ منّا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (أفسس ٤: ٧).
 «موهبة نعمة الله المعطاة لي» (أفسس ٣: ٢).
 «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة، يخدم بها بعضكم بعضاً
 كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة» (١ بطرس ٤: ١٠).
 كما أن الفداء والخلاص، معطى لنا «حسب غنى نعمته» (أفسس ١: ٧،
 انظر أيضاً رومية ٣: ٢٤). وأيضاً: «لأنكم بالنعمة مخلصون» (أفسس ٢: ٨).

وأيضاً قيامتنا وجلوسنا مع المسيح في السماويات، هي نعمة مُعطاة لنا من الأب، كما في قوله: «ليُظهر (الأب لنا) في الدُّهور الآتية غنى نعمته الفائقة باللطف علينا في المسيح يسوع» (أفسس ٢: ٦-٧).

لذلك أرى أن المواهب على تنوعها الكثير، كلها تُعتبر أحد بنود
النعمة.

ويبقى أن نعرف أن كل مسيحي وُلد من الله في المعمودية المقدسة، قد نال حتماً موهبة من المواهب. وهذا هو ما نقرأه في الفصلين الأوّل والثاني من

٦- عن تنوع المواهب وتشعبها، فقد عرض الأب متى المسكين لهذا الموضوع باستفاضة في كتاب بعنوان "المواهب الكنسية" أو "الرُّوح القدس في حياة الكنيسة"، وقد صدر لأول مرة سنة ١٩٦٩م. وهو موجود حالياً كمقال في كتاب "الرُّوح القدس الرَّب المحيي"، الكتاب (الجزء) الثاني.

الكتاب الثامن من المراسيم الرّسوليّة. وأوجز هنا بعضاً ممّا ورد فيهما:

” الآيات ليست لنا نحن المؤمنين، بل هي لغير المؤمنين^(٧) ... وليس هو ربّحاً لنا إن أخرجنا الشياطين، بل الرّبّح هو لمن يتطهّرون بعمل المسيح ... ليس من الصّروري على كلّ مؤمن أن يُخرج الشياطين، أو يقيم الموتى، أو يتكلّم بالسنة. فإنّ الذي يستحق هذه المواهب، فإنه يستحقّها لعلّة، ذلك أنّها تكون لفائدة خلاص غير المؤمنين الذين لا يقتنعون بتفسير الكلمات، بل بعمل الآيات عندما يكونون مستحقّين الخلاص ... ليس أحدٌ من النّاس آمن بالله بالمسيح، ولم ينل موهبة روحانيّة^(٨) ... لأنّ ... الإيمان بالله الآب بالمسيح، هي موهبة من الله ... إذا، فأبى واحد من الذين يعملون آيات وعجائب، لا يدين أحد المؤمنين الآخرين، ممّن لم يُستأهل لذلك. لأنّ مواهب الله متنوّعة، تلك التي تُعطى منه بالمسيح. فأنت قد نلت هذه، وذلك قد نال شيئاً آخر، ككلام حكمة، أو علم، أو تمييز أرواح، أو معرفة ما سوف يكون، أو كلام تعليم، أو صبر، أو عفة حقيقية ... ليس كلّ من يتنبأ، تقيّاً^(٩). وليس كلّ من يخرج الشياطين، قديساً ... “

ويضع مؤلّف ” المراسيم الرّسوليّة “ الاتضاع شرطاً أساسياً لمن نالوا المواهب، لأنّ صنّع العجائب هو بقوة الله، وليس بتقوى الإنسان وقداسته (١:٢:٨). ثمّ يطبّق ذلك على العلاقة بين الإكليروس والشّعْب، فيقول: ” لا يجب على الأسقف أن يتعالى على الشّمَامسة والقسوس، وكذلك القسوس، لا يتعالون على الشّعْب. لأنّ قيام الجماعة يعتمد على هؤلاء وأولئك “ (٢٠:١:٨). ويقول كلّ أسقف يُحاط بالجهل والفساد، ليس هو أسقفاً، بل إنه يحمل الاسم كذباً. وهو ليس من قبَل الله، بل من قبَل النّاس. الأساقفة

٧- ١ كورنثوس ١٤: ٢٢

٨- رومية ١: ١١

٩- ὁσιος = تقي - ورع - مخلص - متديّن - حيّ الضمير.

Cf. Liddell & Scott, *Greek - English Lexicon*, Oxford, 1889, p. 572.

والقسوس الذين يحملون الاسم كذباً، لن يفلتوا من عدل الله (٨:٢:٤، ٦).

ويكمل بقوله: ”نقول هذا، ليس لكي نحتقر الأنبياء الصادقين - عالمين أن أعمالهم وأعمال الناس القديسين يمارسونها بروح الله - بل لكي نزيل قساوة قلب المغرورين، ونعرفهم أن الله ينزع نعمته من مثل هؤلاء. لأن الله يقاوم المستكبرين، ويعطي نعمة للمتواضعين“^(١٠) (٨:٢:٧).

عالمين هذا، أنه في السماء، في حياة الدهر الآتي، لا يُسمح هناك بالدُّخول إلا لمن عليهم ثياب العُرس (متى ٢٢:١١، ١٢)، فقط، وليس أي ثياب أُخرى.